

سماحة الشيخ محمد العباد : فلسفة الثواب والعقاب

السيدة الزهراء عليها السلام تجيب على سؤال قد يختلج الكثير من الأذهان وهو لماذا جعل الله سبحانه الثواب على الأعمال الصالحة الخيرة ؟

ولماذا جعل العقوبة على الأعمال السيئة ؟ هل الله سبحانه وتعالى محتاج الى هذا الجزاء أم ان الأمر يرجع للإنسان ولمصلحته !

فلسفة الثواب والعقاب

تجيب السيدة فاطمة عليها السلام على هذا السؤال بجواب ينسجم أولاً مع ما يحتاجه الإنسان من الجزاء وسواء كان ثواباً وترغيباً أم عقوبة وإنذاراً وتحذيراً . ،

و كذلك ينسجم مع فلسفة القرآن الكريم عندما يتناول موضوع الثواب والعقاب في آيات كثيرة تبين أهداف وفلسفة الثواب والعقاب في القرآن الكريم

الأمر الأول : -

فيما ينسجم مع واقع الإنسان فالناس يختلفون في أمر اندفاعهم إلى ما فيه خيرهم وصالحهم كذلك ارتداعهم عما فيه خسارتهم وضررهم وهذا الأمر يرجع حتى في قضايانا الإعتيادية الحالية الموجودة التي يعيشها كل إنسان . ،

و كمثال بسيط نعيشه قضية ربط حزام الامان في السيارة هذا قانون عالمي ، لكن عندما لم تكن هناك عقوبة رادعة فالإنسان يتهاون في الإلتزام بهذا القانون العالمي المقنن منذ سنوات طويلة ، وعندما شددت الغرامة فالغالبية يلتزمون بربط الحزام خصوصاً عند اقترابه من نقاط التفتيش رغم انه قانون في مصلحة الفرد نفسه ، هنا العقوبة تعتبر رادعة عن المخالفة ،

كذلك تقديم الأجر مقابل العمل يعطي اندفاعه للفرد نحو العمل . فمبدأ الثواب والعقاب قانون منسجم

و طبعاً لا نشك أن هناك صنفاً لا يحتاجون إلى قانون الثواب والعقاب وهم الأولياء الصالحون

فهم لا يحتاجون إلى مبدأ الثواب والعقاب بقدر حاجتهم إلى حسن العمل الحسن وقبح العمل القبيح لذلك يندفعون نحو الأعمال الحسنة ويرتدعون عن الأعمال القبيحة

روي عن الإمام علي عليه السلام : - " لو كنا لانرجوا جنة ولاناراً ولاثواباً ولاعقاباً لكان ينبغي لنا أن نطالب بمكارم الأخلاق فإنّها ممّا تدلّ على سبيل النجاح 2

فهذا صنف خاص من البشر يرتقي إلى أعلى درجات الكمال فمثل أمير المؤمنين لا ينظر إلى مبدأ الثواب والعقاب وإنما ينظر إلى حسن العمل وقبحه فمادام العمل حسن يقدم عليه ومادام سيئاً يرتدع عنه.

و يقول الإمام الرضا (ع) : - " لو لم يخوف الله الناس بجنة ونار لكان الواجب أن يطيعوه ولا يعصوه لتفضله عليهم وإحسانه إليهم وما بدأهم به من إنعامهم للذي استحقوه " 3

فهذه الدوافع كافية لأن تدفع الإنسان لطاعة الله عز وجل ، لمكارم الأخلاق وشكر المنعم لما أنعم بها على الإنسان (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) 4

لكن أغلب الناس بحاجة إلى من يدفعهم إلى العمل الحسن بالثواب وإلى ما يردعهم عن العمل القبيح بالعقاب ،

إنسجام نظرية الجزاء مع القرآن الكريم

- دفع الإنسان نحو الإستقامة

بتجنب العقاب والرغبة في الثواب

- قال تعالى في الترغيب : - (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32)

وَكَوْاعِبٍ أَتْرَابًا (33) وَكَأُوسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35) (5

فهنا ترغيب من الله عز وجل للإنسان بنيل هذه المقامات والنعم التي وعدها الله للمؤمنين في جنته.

وقال سبحانه في الترهيب : - (إِنَّ سَعْيَهُمْ جَهَنَّمُ كَمَا نَتَّهِمُ مِرْمَادًا (21) لِّلطَّاغِيَةِ مَأْبًا (22) لِّلَابِثِينَ فِيهَا أَقْقَابًا (23) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25)) 6 وهذا تبيان لعقاب الله عز وجل للعاصين ليتصور مالذي ينتظره فيكون رادعاً له قبل ارتكابه للمعاصي والآثام

فهذا هو الهدف الأول من مبدأ الجزاء وهو الدافعية وتحصين الإنسان من الإنحراف والثبات على طريق الاستقامة .

تحقيق العدل

فلا يمكن أن يتساوى من يعمل الصالحات ويحمل بداخله التقوى والخوف من الله عز وجل مع من هو منحرف سلوكياً وفكرياً و متهاون بالواجبات ويأتي بالقبائح والمعاصي . فلا بد من وجود الثواب والعقاب من الله عز وجل على العمل الصالح والعمل القبيح ،

قال تعالى:- (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) لَا يَسْتَوُونَ (7

- (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُؤْسِفُونَ) فَلَا يَسْتَوُونَ (8

فلا يمكن لأعمى البصيرة وهو بعيد عن الله عز وجل وطاعته وهو مدرك ويستوعب مبدأ الجزاء وآخر أيضاً مدرك يأتي بالصالحات

لا يتساوون في الجزاء حتى لو تساوى إدراكهما ،

إتاحة الفرصة للموازنة

لابد للإنسان المؤمن أن يكون هو ميزان عمله ويقوم أعماله بميزان الخير والشر والحسن والقبح والثواب والعقاب ،

-- قال تعالى : -

(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) 9 فلا يعيش المؤمن الخوف وعدم الثقة بما المؤدية به الى اليأس من رحمة الله وتوبته وثوابه ولا يكن في أمان مطلق و الذي يؤدي الى التساهل في أحكام الله عز وجل

- قال تعالى : - (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا يَنْفُسِهِ أَهْلًا وَهُوَ يَوْمَئِذٍ يُعَذِّبُهَا بِمَا كَانَتْ تَعْمَلُ) 10

ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ

لماذا عبرت السيدة الزهراء (ع) بكلمة (جعل) في الثواب و(وضع) في العقاب ؟

لأن الثواب هو تفضل من الله عز وجل ، ونحن مهما أطعنا الله إنما في ذلك شكر له سبحانه على نعمه علينا ، فإذا اعطانا الثواب يوم القيامة فذلك راجع إلى تفضله سبحانه علينا .. لذلك قالت عليها السلام جعل ..

وعبرت بالعقاب بكلمة (وضع)

كلمة وضع بمعنى أنزل ووضع شيئاً على شيء (وضع العقاب على معصيته) بمعنى أن الله لا يعاقب إلا من استحق العقوبة وبمقدار العمل فيضع العقوبة وينزلها عليه ،

ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنِ نِقْمَتِهِ

أي جزاءً وإبعاداً للعباد عن النقم الدنيوية والآخروية لأن الإنسان عندما يرتكب المعصية فإن خلف المعصية نعمة

وَحَرِيْاشَةً مِّنْهُ إِلَى جَنَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ مَّا جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى الْأَعْمَالِ وَمَا وَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ
إِلَّا سَوْفًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا وَلِنَا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.